

## الشبكات الاجتماعية وصناعة الديمقراطية

2016-12-17 علي حسين عبيد

مع ظهور العولمة المعاصرة وما رافقها من مستجدات وتغييرات طرأت على العالم أجمع، بدأت شبكة الإنترنت بنشاطها المتميز عبر الأثير، وصارت وسيطا ناقلا للمعلومة بأسرع ما يمكن، حيث فاقت سرعتها جميع وسائل نقل المعلومات السابقة بأضعاف المرات، حتى أمكنها أن تجعل من العالم كله يعيش في قرية صغيرة، يمكن لسكانها أن يطلعوا على أوضاع بعضهم البعض بسهولة ويسر.

هذه الميزة عززت من الديمقراطية باعتبارها تنحو الى الشفافية والوضوح، وتسمح بحرية الرأي وتحميه وتحافظ عليه، لذلك صارت الميزات التي رافقت الإنترنت لصيقة أيضا بالعصر الديمقراطي وعززت من وجوده وتأثيره، بل كان ولا يزال (المتشددون) بالديمقراطية ينظرون الى سرعة نقل المعلومات عبر الأثير من أهم ما تفضلت به العولمة على البشرية، ولكن ثمة مشكلات رافقت هذا المنجز المهم في رأي أنصار الديمقراطية.

بعد فترة من ظهور العولمة الحديثة أو المعاصرة، وبعد أن تبعها الإنترنت، ظهرت وسائل جديدة لنقل المعلومات كافة، هذه المرة فوجئ الإنسان بمواقع التواصل الاجتماعي، فصار كل شيء يحدث في هذا العالم أمام الملاء، حتى بات إخفاء الخبر أو الحدث أو الفضيحة أو التجاوز أمرا مستحيلا، وبهذا يمكن أن نقول بظهور هذه المواقع انتهى عصر الطغيان.. ولم يعد الطاغية أي طاغية ومعاونوه أن يبطشوا بالشعب من دون أن تنشر فضائحهم أما عيون العالم أجمع.. وهذا سرّ في انتهاء عصر الطغيان الى الأبد.

بطبيعة الحال هنالك ناشطون يأخذون على عاتقهم مهمة الاستفادة من مواقع التواصل لتحقيق أهدافهم وخاصة في محاربة الأنظمة الفردية، كما لاحظنا ذلك في مصر وإسقاط نظام حسني مبارك، وما حصل مع القذافي وقبلة في تونس، فقد تم استثمار الفيس بوك وجميع مواقع التواصل الاجتماعي لصالح هذه الانتفاضات، وقد أثبت ذلك التأثير الفعال والكبير لهذه المواقع وقدرتها

على تقديم أفضل الخدمات من خلال تنسيق الحركات والتوقيتات والأساليب لإشغال فتيل الاحتجاجات في الدول التي تم ذكرها.

حتى في العراق تم الاستفادة من هذه المواقع لتنسيق المظاهرات والاحتجاجات التي بدأت من 2011 صعودا وكان لها التأثير الكبير تنسيقا وتحريكا وتأجيحا، وبهذا يمكن القول أن هذه المواقع أسهمت بطريقة أو أخرى بنشر الرأي الحر، أي أنها وقفت الى جانب الديمقراطية وعززت من تأثيرها وحضورها كمنهج سياسي فاعل في الحياة السياسية، لاسيما في البلدان التي لا تزال قاصرة في فهمها وتطبيقها للديمقراطية كما هو الحال فيما يخص الدول العربية وعدد من الدول الإسلامية، حيث لا تؤمن بعض الأنظمة السياسية بالديمقراطية كمنهج حياة، يمكن من خلاله بناء نظام سياسي أفضل ودولة أكثر قدرة على محاكاة العصر.

## الشبكات الاجتماعية وصناعة الرأي

من القضايا المهمة التي رافقت ظهور مواقع التواصل، قضية صناعة الرأي العام، وهذا مظهر واضح من مظاهر الديمقراطية، بمعنى أمكن لهذه المواقع أن تؤثر كثيرا وبصورة فعلية في توجيه الرأي العام عندما تكون محمية من قبل الأنظمة الديمقراطية، أما الأنظمة الدكتاتورية فإن هذه المواقع لا حضور لها ولا تأثير ولا قدرة على توجيه الرأي أو بلورة رؤية واضحة او موقف محدد تجاه النظام السياسي.

هنالك مشكلة أخرى رافقت ظهور مواقع التواصل وتأثيرها على الديمقراطية، على الرغم من أن هذه المواقع محمية من الأنظمة الديمقراطية، أو متاح للمشاركين التعبير عن آرائهم ومواقفهم فيها، إلا أن الاستخدام الخاطئ لها أساء أحيانا للديمقراطية نفسها، من ذلك على سبيل المثال عندما يتم استخدام هذه المواقع للتسقيط او القذف والتشهير وما شابه، أو إثارة الضغائن والأحقاد أو بث التطرف وإشاعة التعصب، وصب الزيت على النار وتأجيج الخلافات بين مكونات الشعب الواحد مثلا.

لنتصور كيف يكون دور مواقع التواصل الاجتماعية بالنسبة للديمقراطية، عندما يُساء استخدامها

بطريقة أو أخرى، حيث يستفيد الإرهاب من الديمقراطية نفسها، كذلك لا يمكن أن ننسى إمكانية نشر الفكر التكفيري وأهدافه وحتى إيصاله الى أبعد نقطة من العالم، وإمكانية استفادة تنظيمات التطرف من هذه المواقع وقدرتها على تنسيق فعاليتها ونشاطاتها عبر الفيس بوك أو سواه من المواقع الأخرى، كل هذه الأنشطة وسواها تعطي نتائج عكسية لما تقدمه هذه المواقع من فوائد في ظل الديمقراطية.

يُضاف الى ذلك عندما لا يتم استخدام هذه المواقع كما يجب، أو ضمن الضوابط والأعراف والقوانين السارية، هذا يعني أن النتائج سوف تكون معاكسة تماما، ما يلحق الضرر بالأنظمة الديمقراطية أيضا، لهذا ينبغي أن يتم الالتزام بضوابط استخدام هذه المواقع، ليس من أجل محاصرة الرأي أو تحديد حرية إيصال المعلومة، أو تحديد نشاط الإعلام بصورة عامة، وإنما المقصود أن تكون هذه المواقع ذات هدف واضح هو الاستفادة من الديمقراطية لتصحيح الوضع العالمي المرتبك، خاصة ما يتعلق بالتطرف، وانتشار هذه الظاهرة على نحو غير مسبوق بين الكثير من الشعوب والتجمعات السكانية المتنوعة، لذا من الأهمية بمكان أن تتم الاستفادة الأقصى من هذه المواقع لصالح الديمقراطية وليس بالضد منها.

### مقترحات لمعالجة الظواهر السلبية

من الأمور التي لا نختلف عليها، أن مواقع التواصل ظاهرة إلكترونية تواصلية صحية، لا يمكن وضعها في مجال مضاد للإنسان، ولحركة العالم الى أمام، على الرغم من أن الأشياء المفيدة غالبا ما يرافقها أو ينتج عنها المضاد أو (السيئ) أيضا، لا شيء يمنحك الجمال من دون ألم، ولا شيء يعطيك الفائدة بدون ضرر، كل الأشياء المفيدة يقابلها شيء يكون على شكل جهد او طاقة او فكر مضاد وما شابه.

مواقع التواصل تقدم لنا مزايا مهمة سبق ذكرها، ولكنها في الوقت نفسه يمكن أن تكون سيف ذي حدين، يمكنها أن تحميننا أو تقدم لنا الحماية من الخطر، ويمكن أن تكون هي السبب وراء الخطر الذي يحدث بنا، كل هذا بدعم من الديمقراطية، إنها مفارقة غريبة حقا، فأنت مطالب كنظام سياسي ديمقراطي أن تطلق الحريات الإعلامية وما شابه، من ضمنها مواقع التواصل، وفي الوقت نفسه

فمكن أن تكون هذه المواقف سبفا فف نشر الاضطرابات والأحقاد والتفجيرات ونشر الففر المتطرف.

مع ذلك لا فمكن الاستغناء عنها كونها جزءا لا ففجزأ من الاءمقراطية الءامفة للءرفاء كافة، لهذا علنا أن نفهم هذا التناقض الءاء فف الأهداف الفف ففءمها مواقف التواصل، ولكن فف نفس الوقت لابد من الالفزام بالضوابط والألاءفاء والفم الفف ففءم ففءم هذه المواقف وأهءافها ونشاطاتها، فذ من ففر الممكن أن ففلق لها الءرفاء فف كل شفاء بءة الاءمقراطية، فبهذه الءالة ربما تكون الففائف عكسفة فماما، خاصة عندما ففم اسفءءام هذه المواقف لنشر الفطرف والإرهاب وما شابه.

من هنا لابد أن تكون هناك موازنة بفن المضاء والمؤفء، المففء والمضر، وهذا لا فمكن فءقفه إلا من هلال الفمسك بضوابط وفشرفاء وقوانفن فنظم عمل هذه المواقف وسواها، فف لا فكون هناك منع فطولها، ولا تكون هناك إمكانية لاسفءءمها بشكل مضاء للاءمقراطية نفسها.